الفصل الخامس

زهرة الجزيرة العربية الغريبة

يعيش هنا الساراكينوس – المشرقيون الذين يمجدون محمدا ويكرهون المسيحيين. وتُوجد أيضًا العديد من المدن والقصور، هنا الملاذ للكثيرين؛ حيث تأتي السفن محمّلة بالبضائع من الهند، كما يقصدها العديد من التجار. يجني سلطان عدن ربح الكثير، وتحصّل الكثير من الرسوم من السفن والتجار الذين يمرُّون من هنا.

ماركو بولو

كانت عداوة الإمام يحيى للبريطانيين الذين استولوا على الجزء الجنوبي من اليمن في القرن التاسع عشر سببا للتعاون السوفيتي اليمني في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي. وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح «أصدقاء» الاتحاد السوفيتي هم أعداء المملكة المتحدة في الشرق الأوسط، سواء كانوا من الصهاينة المُعادِين لبريطانيا في فلسطين، أو لاستبداد القرون الوسطى الثيوقراطي في اليمن، البلد الصغير والنائي والمتخلف.

ولا توجد أسباب أخرى تبرر موافقة الاتحاد السوفيتي على بناء ميناء في الحديدة، كبير نسبيًا وفقا للمعايير المحلية ومُكلف فى نفس الوقت. صحيح، رَبما كانت هناك خطط لاستخدامه في المستقبل كقاعدة للأسطول الحربي، ولكن لا توجد لدى الكاتب أدلة موثقة تثبت مثل هذه الفرضية. كان الاتحاد السوفيتي دائمًا ما يؤيد فى دعاياته السياسية موقف الإمام يحيى المعادي لبريطانيا.

وُقعت في عام 1955 معاهدة الصداقة بين اليمن والاتحاد السوفيتي، وبعد عام واحد وُقعت اتفاقية التجارة. وزار ولي العهد الأمير بدر الاتحاد السوفيتي في عام 1956، وقام بتوزيع هدايا تذكارية عبارة عن أكياس من البن اليمني الفاخر.

وفي عـــام 1961م اكتمل بناء ميناء الحديدة. وأرســـلت لنظام الإمـــام كمية معينة من الأسلحة أثناء الحرب العالمية الثانية. ثم وصل إلى اليمن فريق من المدربين العسكريين السوفيت.

أدت الثورة في عام 1962م إلى تأســـيس الجمهوريـــة، ثم الدخول في حرب أهلية. وتلا ذلك تدخلا سافرا في الشأن اليمني من جانب مصر التي أرسلت سبعين الف جندى مصري إلى هناك دعمًا للجمهوريين وتدخل آخر من المملكة العربية الســـعودية التي دعمت القوات الملكية اليمنية. وقام الاتحاد السوفيتي أيضًا بدعم المصريين ونظام عبد الله السلال الجمهوري.

بعـــد الهزيمة في الحرب العربية الإســـرائيلية عام 1967، بدأت مصر بســـحب قواتها من اليمن، ورفض التدخل في الشؤون العربية في مقابل الحصول على دعم مالي من المملكة العربية السعودية. وفي نوفمبر عام 1967 أطيح بعبد الله السلال، وتولى المجلس الرئاسي السلطة في البلاد. وفي ديسمبر 1967 غادر المصريون صنعاء، وبدأت القوات الملكية اليمنية بمحاصرتها ولكنهم لم يســـتطيعوا الاســـتيلاء عليها. وفي نوفمبر وديســـمبر عام 1967، نظم الاتحاد السوفيتي جسرًا جويًا لنقل الأسلحة والإمدادات إلى مدينة صنعاء المحاصرة. يعتقد البعض أنها لعبت دورًا حاسمًا في الحفاظ على النظام الجمهوري؛ ولكن هناك أراء أخرى.

يقـــول ك. م. ترويفتســـيف: كنت موجودا في صنعاء خـــلال الحصار في عام 1967، عندما صمد النظام الجمهوري. لكن مســـاعداتنا لم تلعب دورا حاسما. وكان العامل الرئيس يكمن في التوازن بين الاتحادات القبلية الرئيسة التي أدركت أنه من الافضل لهم وجود جمهورية ضعيفة عن ملك قوي على العرش.

وعاد الســـلام إلى شمال اليمن، والذي كان قد توقف بسبب الانقلابات العسكرية. وكان التعاون بين الاتحاد السوفيتي مع هذا البلد تعاونا عسكريا واقتصاديا، تمثل في إعداد الكوادر، واســـتمر أيضا التعـــاون في المجال الطبي. وفي عام 1984 تم التوقيـــع على معاهدة الصداقة والتعاون.

عندما كانت الحرب دائرة في شمال اليمن، اشـــتعل الكفاح المسلح ضد القوات البريطانية في جنوب اليمن. وراهنت مصر ومن بعدها الاتحاد السوفيتي على جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل (FLOSY) ، ولكن وصلت إلى الســـلطة منافِسَتُها الجبهة الوطنية التي نشأت على أســـاس حركة القوميين العرب، وتبنت الموقف اليســـاري الأكثر راديكالية، وقرر قادتها «عدم تذكر الشـــر»، وبعد إقامة علاقات دبلوماســـية مع الاتحاد الســـوفيتي أعربت عن استعدادها

للتعاون معه بشـــكل وثيق. وســـرعان ما حصلت السفن السوفياتية على تسهيلات في ميناء عدن، وحصلت الطائرات على مثلها في مطار عدن.

انتهى الصراع الداخلي في قيادة الجبهة الوطنية بالإطاحة بالرئيس قحطان الشعبي وانتصار اليســـاريين. وقادت مجموعة من القادة الراديكاليين بمختلف الأشكال والتوليفات البلاد أبعد إلى اليسار، وأخذوا يتشبهون بكل ما هو سوفيتي من الغناء «انترناسيونال» إلى تأسيس معهد النشـــطاء السياسيين في القوات المسلحة، والأيديولوجية الشـــيوعية، والبنية السياسية، بما في ذلك الأحزاب والتنظيمات الاقتصادية.

وقامـــت فى جنوب اليمن جمهورية اليمن الجنوبية الشـــعبية، وبعد ذلـــك جمهورية اليمن الديمقراطية الشـــعبية. وتحولت الجبهة الوطنية التي اتحدت مع مجموعة صغيرة من الشـــيوعيين، برئاســـة الإخوة باذيب والبعثيين، إلى حزب. إلَّا أنه وتحت الضغط الســـوفيتي، لم يطلق عليه الحزب الشيوعي ولكن سُمِّي بالحزب الاشتراكي. وأصبح جنوب اليمن «الطفل المدلل» لقسم الشؤون الخارجية للجنة المركزية للحزب الشيوعي.

بدأت ســـيطرة الأســـطول الحربي الســـوفيتي على بحار العالم. وكان هناك تهديد أمريكي للاتحاد الســـوفيتي من ناحية المحيـــط الهندي؛ حيث ظهرت الغواصات المســـلحة بالصواريخ من طراز ''بولاريس''، ''بوســـيدون'' ثم ''ترايدنت''. وبعد ذلك توسّـــعت علاقات الاتحاد الســـوفيتي مـــع الدول الأفريقية عـــن أي وقت مضى. وفي ظل هذه الظـــروف كانت الأهمية الاســـتراتيجية لعدن واضحة جدًا، وأعرب قادة اليمن الجنوبي طوعًا عن استعدادهم للتعاون على نطاق واسع.

فى الحقيقـــة، لم يكن هنـــاك اتفاق بين القادة في جنوب اليمـــن؛ ولكن لم يعترض أحد على التعاون مع الاتحاد الســـوفيتي. وبعد ذلك أُطيح برئيـــس الوزراء محمد علي هيثم، وقتل في الصـــراع الدموي الرئيس ســـالم ربيع علي. وقع الرئيس والأمين العام للحزب الاشـــتراكي اليمـــني عبـــد الفتاح إسماعيل في أكتوبر 1977 على معاهـــدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد الســـوفيتي. وكان واحـــدًا من القليلين مـــن القادة العرب الذين دعموا التدخل الســـوفيتي في أفغانستان.

في فبراير 1979، قامت قيادة جنوب اليمن بمغامرة، عندما بدأت العمليات العســـكرية ضد الشمال على أمل تكرار الســـيناريو الفيتنامي ووضع الاتحاد السوفيتي أمام الأمر الواقع.

لكن قادة الحركة الثورية لم يسمحوا بتكرار ما حدث في الجنوب في الشمال، وتحركت الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية بشكل سريع وقدمتا السلاح والمستشارين إلى شمال اليمن. وفي النهاية، اقتنع طرفا اليمن بضرورة التوقف عن الأعمال العدائية والعودة إلى الحدود القديمة في جنوب اليمن، وتسبب ذلك في تقوية سلطة رئيس الوزراء علي ناصر محمد، ونفي عبد الفتاح إسماعيل خارج البلاد.

لكن إسماعيل استطاع العودة إلى البلاد، وتحدى علي ناصر محمد مستقويًا بأنصاره الكثيريين. وانفجر التنافس في صورة صراع أهلي دموي.

ويذكر ك. ن. بروتينس أنه "على الرغم من العلاقات الوثيقة جدًا مع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التي كانت أقوى من أي علاقة مع أيٍّ من الدول العربية الأخرى؛ حيث كان هناك حوالي 500 من المستشارين العسكريين السوفيت، وفي أوقات مختلفة كان يوجد ما يقرب من ألف ونصف إلى أربعة آلاف خبير مدنى، لم نكن قادرين على التأثير بقوة على مسار الأحداث في هذا البلد الصغير. وتوضح تلك الملحمة جنوب اليمن مدى البعد الذي وصلت اليه الموجة اليسارية فى تلك السنوات والفشل الذي أقترن بها نتيجة الظروف غير الملائمة. وأخيرًا، تثبت هذه الملحمة أن السياسات السوفيتية التي كانت تبدو آنذاك طبيعية ومنطقية ضمن مخطط «حلول الاشتراكية ودعم الحلفاء الطبيعيين»، لم تكن كافية، ويمكن للمرء أن يقول إنها كانت مثالية، وبالغت في تقدير قدراتها وإمكانات القوميين الثوريين. . .

في 13 من يناير 1986، بدأ أعضاء في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني بالتجمع كالمعتاد حوالي الساعة 11:00 صباحًا لبدء اجتماع المكتب السياسي.

في الحادية عشرة إلا عشرة دقائق، اتخذ المشاركيين بالفعل أماكنهم في انتظارً علي ناصر محمدً. كما جرت العادة، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة دخلت إلى الفناء سيارة الأمين العام، وكالعادة، في قاعة الاجتماعات ظهر مبارك سليم أحمد رئيس حرسه يحمل حقيبة محمد وترمس الشاي؛ ولكن الحارس إقترب من طاولة المفاوضات التي عادة ما يجلس عليها الأمين العام، ووضع عليه ترمس الشاي، ثم أخرج من الحقيبة بندقية آلية وفتح النار على الجلوس.

وانضم إليه حارس آخر يدعى محمد كان واقفًا عند المدخل. ومات أعضاء من المكتب السياسي، وزير الدفاع قاسم، ورئيس لجنة الرقابة، علي شائي. وقد رأيت بنفسي بعد ذلك الجدران المغطاة بالأعيرة النارية — كشاهد فريد لتلك المذبحة.

في الوقت نفسه اقتربت مجموعة من القوارب من الشاطئ وقصفت عددا من مرافق المدينة بما في ذلك بيت إسماعيل، وشـــارك في ذلك أكثر من 500 من المســـلحين من أنصار محمد من محافظة أبين مســـقط رأسه، والذين تم إحضارهم سرًا إلى عدن واختبأوا في مجمع المحافظة. وكان محمد نفسه ينتظر النتيجة في مكان ما على بعد 70 كيلو مترًا من عدن.

لكـــن خطة محمد كان محكوما عليها بالفشـــل؛ ويرجع ذلك أساسًـــا إلى إخفاق القتلة؛ حيث نجا إسماعيل الذي أصيب في ساقه، وبياد، وس. س. محمد (الأمين العام المقبل للجنة المركزية للحزب الاشـــتراكي اليمني ونائبه) وبمســـاعدة الحراس الشـــخصيين تمكنوا من الهرب، وتحصنـــوا في إحدى الغرف التي أبلـــغ منها إسماعيل الجيش بكل الأحداث التي وقعت. وبعد ذلك، خرجوا إلى الشـــارع من خلال النافذة، وجلس إسماعيل في ناقلة جند مدرعة، ســـرعان ما تم إحراقها. واعتقد في ذلك الوقت أن إسماعيل قد مات؛ ولكنهم لم يعثروا على جثته.

وقعت في المدينة معركة شرسة استمرت لمدة أسبوعين تقريبًا، وأدت إلى دمار كبير وخسائر. انهزم محمد وهرب مع مجموعة من المؤيدين إلى الخارج.

. . . تفاجأنا جميعًا بالعمل الإرهابي الذي قام به محمد. لم نكن نتوقع هذا منه."

وفي الواقع ســـيطرت المفاجأة على القيادة الســـوفيتية، على الرغم من أنه في عشـــية هذه الأحداث كان الصبية يصيحون بإمكانية وقوعها في شـــوارع عدن. "هذا لا يمكن أن يكون، لأنه لا يمكن أبدًا أن يحدث». وكان ميخائيل جورباتشـــوف الذي جاء إلى الســـلطة مؤخرًا مشغول بأمور أخرى. لم يكن هناك أحد في موسكو يستطيع اتخاذ القرارات. وتقاتل الطرفان على مدى أسبوعين كاملين، مما أسفر عن سقوط آلاف القتلى والجرحى.

وكان الجانبان على علاقة ودية مع الاتحاد الســـوفيتي. ولم يصب أي من الطرفين المواطنين الســـوفيت بأي أذى. وفي نهاية الشـــهر بدأ المستشارون الســـوفيت في العودة إلى البلاد بعد إجلائهم، وبدءوا يرســـلون المســـاعدات الطارئة جوًا من الاتحاد السوفيتي. زار وفد عسكري ســـوفيتي عدن في شـــهر مارس، وقام الأمـــين العام الجديد للحزب الاشـــتراكي اليمني علي ســـالم البيض عشر بإلقاء كلمة في المؤتمر السابع والعشـــرين للحزب الشيوعي، واجتمع مع غورباتشـــوف. وبدا أن كل شيء قد عاد الى طبيعته. وكُلف إيجور ليجاتشيف بمتابعة الوضع في اليمن الجنوبي؛ ولكن لم يكن لديه الوقت للقيام بذلك. وبالتالي لم تحصل موســـكو على نتائج هامة في هذا الشأن.

واعتبرت الجمهورية العربية اليمنية حكومة موالية للغرب. وقدمت المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة لها المساعدات المالية والنقدية والعسكرية. وزادت المساعدات والمعدات المُقدَّمَة بعد الاشتباك العسكري مع جنوب اليمن. في مارس 1979 أرسلت الولايات المتحدة أسلحة لشمال اليمن بقيمة 300 مليون دولار دفعت تكلفتها المملكة العربية السعودية. ولكن في أواخر صيف عام 1979 وقعت الجمهورية العربية اليمنية اتفاقا بشأن توريد الأسلحة من الاتحاد السوفيتي. وأرادت صنعاء أن تلعب لعبة الاستقلال، وظلت علاقات الصداقة القديمة مع الاتحاد السوفيتي ورقة رابحة في علاقاتها مع المملكة العربية السعودية، والولايات المتحدة.

إن القيادة الجديدة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية برئاسة سالم البيض التي أدركت المأزق الاجتماعي والاقتصادي الذي تعاني منه البلاد، واستطاعت بشكل صحيح تقييم رغبة الاتحاد السوفيتي في الحد من التزاماته تجاه جنوب اليمن، قرّرت أن تذهب للاتحاد مع الشمال. لقد كان قراراً صعبًا. ولكن عملية الاتحاد تمت بسرعة، وساعد على ذلك أنه كان يوجد لدى السلطات في الجنوب الكثير من أهل الشمال، وفي الشمال يوجد الكثير من الجنوبيين.

كان توحيد اليمن بهذه السرعة أمرًا مفاجئًا حتى بالنسبة للمتخصصين المستعربين في الاتحاد السوفيتي. ويمكنني القول إن بعض الشخصيات ومؤسسات السياسة الخارجية في الاتحاد السوفيتي المعنية بشؤون جنوب اليمن، قد قاومت عملية الاتحاد بشدّة؛ ولكنهم لم يضعوا عراقيل حقيقية؛ بل لم يكن بمقدورهم وضع أي عراقيل.

مما لا شك فيه أن توحيد اليمن رفع العبء الأيديولوجي والسياسي بالنسبة للاتحاد السوفيتي تجاه نظام جنوب اليمن، وحافظ على مزايا العلاقات الودية التقليدية التي كانت مع طرفي اليمن.

و بعد انتهاء «الحرب الباردة» فقدت المزايا العسكرية التي ظفر بها الاتحاد السوفيتي في عدن أهميتها، وتجاهلت موسكو بكل بساطة موقف القيادة اليمنية الموالي للعراق خلال أزمة الخليج. وصار عدم التدخل التقليدي في الصراع بين الدول العربية أحد مسلمات السياسة الخارجية لموسكو.

سنلقي نظرة «من أعلى» على جنوب اليمن، ونعرض وجهة نظر شخص كان قريبا من قمة الهرم الحزبي، وهو ر. أ. **أوليانوفسك**.

المؤلف: لم يستوعب الاتحاد السوفيتي ما حدث في جنوب اليمن من تشابك في التوجهات السياسية والأيديولوجية، والعسكرية الاستراتيجية، عندما قام هذا النظام المدلل وحزبه (أتذكر جملة ''جورشكوف'' سأمنح نصف أسطولنا في المحيط الهندي مقابل هذه القاعدة). ماذا حدث هناك؟

ر. أ. **أوليانوفسك**: إن دعمنا للحكومة التقدمية كان من أجل أن نكون قادرين على مجابهة المواقع العسكرية الاستراتيجية الامريكية باستخدام مواقعنا. ولعب أسطولنا، بطبيعة الحال، دورًا في ذلك.

المؤلف: هل تعتقد أن التحولات في جنوب اليمن التي نسميها بالتحولات التقدمية، لم تتوافق مع بنية أو طبيعة المجتمع اليمني الجنوبي؟

ر. أ. **أوليانوفسك**: كان جنوب اليمن عبارة عن مستعمرة كلاسيكية للإمبريالية البريطانية. كانت هناك الجماهير المعادية لبريطانيا، والطبقة العاملة. ظهرت في الآونة الأخيرة، لدينا موضة إدانة هذه الأنظمة. القطاع العام على سبيل المثال. . . لا داعي، فليكن التغيير هناك على منهج البرجوازية.

المؤلف: ولكن الأنظمة القديمة انهارت الآن حتى في أوروبا الشرقية. وصار واضحًا أنهم يسيرون تجاه الغرب.

ر. أ. **أوليانوفسك**: أنا لا أتفق معك.

المؤلف: الآن نحن أنفسنا نتغير، ونقوم بتغيير العديد من توجهاتنا داخل البلاد. في ظل هذه الظروف، فإن الأنظمة في «العالم الثالث» التي أخذت بعض من ملامح النموذج السوفيتي، تبدو ممقوتة؛ حيث نلحظ تأميم مبالغ لانشطة التجارة، وجماعية مفرطة في الريف، والإفراط في التركيز على القطاع العام فقط في الصناعة، ناهيك عن الهياكل السياسية.

ر. أ. **أوليانوفسك**: بالنسبة إليهم أصبحت الدولة هي الحاضنة لاقتصادها. نعم! فأين البرجوازية الوطنية التي تتوفر لديهم، التي ستتمكن من تطوير الصناعة؟ غير موجودة، ولا يوجد لديهم أيضًا مُلاك. فهل تسمي هذا عمل جماعي؟ أنا أسميه تعاون.

المؤلف: عفوًا، ولكن على ما يبدو هنا يمكننا الدخول في جدال. عندما كنت في عدن قبل تطبيق نظام الاقتصاد الجماعي أو التعاوني كان سوق عدن والسواحل ممتلئة بالأسماك، وبمجرد أن قاموا بتوحيد الصيادين على الأساس التعاوني، اختفت الأسماك. هذا مثال كلاسيكي. ولم تكن هذه المغالاة تحدث دون تأثير منا، أو دون الدوغمائية، التي كانت مدرستنا الحزبية تعمل على ترسيخها في رؤوسهم. فهناك نسبة من المسؤولية تقع على عاتقنا.

ر. أ. أوليانوفسك: لا! نحن لن نأخذ هذه المسؤولية على عاتقنا، فنحن قد درسنا لهم النظرية، التي يمارسونها، ولم نتدخل في السياسة العملية؛ بل وأكثر من ذلك كنا نخبرهم دائمًا أنه يجب عليهم أن يكونوا حذرين، وعليهم أن يكونوا ذا نظرة مستقبلية، ويتحركوا فقط على أساس قدراتهم.

لم يكن الأمر يستحق الجدل مع أوليانوفسك. كان العالم في الخارج يعيش عصرا مختلفا، يستطيع فهمه وقبوله فقط الأشخاص الذين لا تثقل كاهلهم القناعات السابقة.

و. ج. بيريسيبكين – عميد الأكاديمية الدبلوماسية، والسفير السابق في اليمن وليبيا (وبعد انتهاء فترة عمادة الأكاديمية الدبلوماسية السفير في لبنان)، هو أحد الأشخاص المستبعد نسبتهم لأولئك الذين يشاطرون أوليانوفسك في وجهات نظره.

المؤلف: هل توافق على أن نهجنا تجاه الأنظمة الاستبدادية الثورية كان أيديولوجيا وأعاق سياستنا العامة؟

و. ج. بيريسيبكين: أنا أتفق معك في فكرة أنه في مرحلة ما مارست القيم الأيديولوجية ضغوطًا على المصلحة العامة، وحينئذ اتُخذت قرارات على حساب المصلحة العامة كانت غير مفيدة للاتحاد السوفيتي. ومن المعروف أن جنوب اليمن كان يعدّ دولة ذات توجه اشتراكي، بمعنى أنها كانت تسترشد بالاشتراكية العلمية، واتخذت مبادئ الماركسية اللينينية أساسًا لها. وقد ساعدناه أن ينشيء مؤسسات كالتي لدينا. أرسلنا مجموعة كبيرة من خبرائنا الذين قاموا بتدريبهم على فعل ما نرفضه في الوقت الراهن بالضبط. فتسببت مدرسة الحزب الواحد في خلط الأمر عليهم أيديولوجيًا. وقد قمنا بتأهيل مئات الحاصلين على الدكتوراة لليمن الجنوبي، وأعدنا تدريب أجهزة الحزب بأكمله، وجهاز الدولة أيضًا، كما أعدنا تدريب القوات المسلحة.

المؤلــف: ما المكون الرئيس الذي هيمن على علاقتنا بجنوب اليمن: هل هو السياســي الأيديولوجي عندما كنا نحن أنفسنا ضحية للأوهام الخاصة أو الاستراتيجي العسكري؟

و. ج. بيريسيبكين: ربما كانا الأمران يسيران في خط متوازٍ، أقصد المصالح الاستراتيجية والأيديولوجية. كنا نعتقد أن جنوب اليمن هو حالة فريدة من نوعها. ففي بلد صغير كاليمن ســيكون من الأسهل علينا اســتيعاب الأمر وخلق نموذج ناجح عنه في بلد كبير مثل مصر. وقد انطلقنا من فرضية أن الإشتراكية العلمية هي نظرية عالمية، وأردنا هنا بالتحديد أن نثبت أن بلدا عربيا صغيرا غير متطور، وكان في الســابق مســتعمرة بريطانية، إلَّا أنه تبني في النهاية شعارات الاشتراكية العلمية وسوف يخطو خطوات كبيرة إلى مستقبل أكثر إشراقا. . .

المؤلف: وهل غضضنا الطرف عن حقيقة أن البلاد تعاني من التدهور الاقتصادي؟

و. ج. بيريســيبكين: حــدث كل هــذا، ولكن كان الهدف هو مســاعدتهم فى ''بناء الاشــتراكية''، ووضع خبراؤنا المشــاريع وخطط التنمية الخمسية، وقد توفر في كل وزارة اثنين أو ثلاثة تقريبًا من مستشارينا، الذين كانوا ينطلقون في أحسن الأحوال من خبراتهم الخاصة. وقد أكدوا لنا أن قادة جنوب اليمن وضعوا اقتصاد البلاد في مأزق؛ ولكني أغفر لهم هذا فقد اســتمعوا إلى الأخوة الكبار لهم، وهم الذين ''بنوا الاشتراكية'' ومن ورائهم دولة قوية كبيرة، ومجموعــة من ذوي الخبرة. وبطبيعة الحال قد فعلوا ما نصحنا لهم. ولذلك فإن فشــل الدول ذات التوجه الاشتراكي، يرجع إلى مساعدتنا لهم وتأثيرنا عليهم. ولكن بطبيعة الحال، فرضت المفاهيــم الخاطئة لدينا على تقاليدهم وعلى العلاقات القبلية، فازدهرت هذه الزهرة الســامة التي من الصعب أن نتخيلها. خذ على ســبيل المثال أحداث يناير 1986، عندما اشــتبك فصيــلان من الحزب، على الرغم من أنه كان لديهم ميثاق واحد وبرنامج واحد. إلَّا أنهما في الواقع، لم يختلفا عن بعضهم البعض كثيراً وقاما بمجازر رهيبة. . .

المؤلف:. . . وخســروا حينئذ بضعة آلاف من النخبة الصغيرة الخاصة بهم التي تحتاجها البلاد في أي وقت مع أي نظام.

و. ج. بيريســيبكين: نعم. على كل حال، هذا يدل على أن هناك مسؤولية كانت تقع علينا. طلب زعماء الجنوب اليمني مســاعدتنا في إنشــاء الجيش. وكنا نعرف أن الجيش يمثل حملًا لا يتناسب مع دخولهم المتواضعة جدًا. لكننا قدمنا لهم كمية كبيرة من الأسلحة وأعددنا لهم الضباط. ثم أعطيناهم قروضًا لسداد النفقات العسكرية.

المؤلـف: ربمـا، من حيث المبدأ، نحن لم نهدف لتحريضهم علـى شمال اليمن والمملكة العربية السـعودية وسـلطنة عمان؛ ولكن الحقيقة تكمن في أن تعزيز الجيش والقوات الجوية، وهذه الجبال من الأسلحة كل هذا كان يدفع الأمور في اتجاه ارتكاب أعمال وحشية.

و. ج. بيريسيبكين: وعلاوة على ذلك، أريد أن أقول إننا بشكل عام نقلنا إليهم طريقتنا في التفكير ورؤيتنا وتصورنا لهذه الفترة. كنا نعتقد أنه إذا قام أحد بالإسـاءة إليك، وإذا كان هناك مجرّد نية للهجوم عليك، فهنا ليس من الضروري التفاوض معه؛ ولكن يجب الاستعداد بالسلاح والاسـتعداد لصد الهجوم. لنفترض أنه كان هناك تهديد من جانب المملكة العربية السـعودية، فبدلا من أن نقوم بتوجيه النصح لبدء المفاوضات وإيجاد نوع من التسـوية قررنا تزويدهـم بمئة دبابة والمزيد من الطائرات. . . في المرة التالية عندما يكون هناك تهديد جديد، سيلجؤون إلينا وبدورنا سنقوم بتزويدهم بأسلحة من جديد.

المؤلـف: علـى هذه الأرض نبتت زهور في غاية الخطـورة. عندما بدأ الجنوبيون حربهم ضد الشمال في ربيع عام 1979، قال لى الأخ باذيب – الثاني من الإخوة – وهو في حالة سكر: «نعم، بدأنا هذا العمل. إذا انتصرنا، ستكون هناك اليمن العظيمة. ولكن إذا خسرنا، فإنكم ستساعدوننا وتنقذوننا».

و. ج. بيريسيبكين: إذا كنا نتحدث عن العلاقات بين الأطراف اليمنية فقد أثرت عليها العقائد الأيديولوجية. رأى الجنوبيون أنهم بحاجة إلى بناء الاشتراكية، ولكن بلادهم فقيرة جدًا وصغيرة. ولكن إذا اتحدت مع شمال اليمن الأكثر ثراءا، وأكثر سـكانا فسـيكون من السهل عليهم تحقيق أهدافهم الاسـتراتيجية. قلّل اعتقادهم بأنهم يمتلكون الفكر الأكثر تقدمًا، من فرص التوصّل إلى حل وسط، ودفعهم لاتخاذ موقف متشدد ضد الدول المجاورة. وكنا سعداء أنهم يدعموننا في كل شيء، حتى في أفغانستان.

المؤلف: أحببنا هذا الأمر بشـدة ؛ فقد كان لدينا حليف ''أمين''، على الرغم من أن تقديم الدعم لنا من هذه البلدان في الواقع كان يعجل بتدميرنا لأنفسنا.

و. ج. بيريسـيبكين: هذا ما نعتقده الآن. ولكن في السابق كنا نعتقد أن أصدقاءنا هم أولئك الذين يصوتون لصالحنا على جميع مقترحاتنا في الأمم المتحدة، وفي الفترة الأكثر صعوبة لنا كانوا يقدمون الدعم المعنوي. ولكننا بصراحة كنا نشتري هذا الدعم؛ فارتبطت كل أشكال التصويت في الأمم المتحدة، أو أي تحركات أخرى على الساحة الدولية بطلبات الحصول على

إمدادات إضافية، ومميزات اقتصادية أخرى إلخ. وكنا مستوعبين لذلك جيدًا، ولكن لم يكن لدينا سبيل آخر، لأننا كنا في حاجة إلى هذا الدعم ''المعنوي والسياسي'' الذي يقدمونه لنا. حسنًا، رغم أن قدراتنا الاقتصادية ضعيفة فقد اكتفينا ببناء محطة توليد كهرباء وميناء صيد في جنوب اليمن. هل يوجد شيء كبير آخر؟ – وفي مقابل الدعم السياسي قدمنا السلاح مرة أخرى.

الموظف في الجهاز الرئيس في الكي جي بي (المخابرات): أنا أتفق مع بيريسيبكين: فقد كنت أصطدم باستمرار بهذا النهج. ولكن خطط بناء الاشتراكية هو «أمر غير ضروري على الإطلاق». لم يسمح للقسم الدولي في اللجنة المركزية بالاقتراب مثلًا من العلاقات السوفيتية اليابانية أو السوفيتة الأمريكية، لتبرير وجودها. "فأخرجنا طاقاتنا في اليمن ". (كانت تلك بمثابة العظام التي ألقتها قيادة البلاد والحزب على مذبح الأيديولوجية).

المؤلف: هل كان من الضروري وجود مواقع استراتيجية وعسكرية لنا في عدن؟ كان يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن الأميركيين لديهم دييغو غارسيا.

و. ج. بيريسيبكين: نعم، لقد بدأنا في الواقع في السبعينيات الانطلاق نحو المحيط الهندي، فمن قبل كانت توجد السفن الغربية فقط. وقد كانت عدن ذات أهمية كبيرة، نظرًا لأننا لم يكن لدينا مواقع في المحيط الهندي. وكان حلفائنا في وقت ما هم البرابرة، عندما كانت الصومال صديقتنا. ولكن عدن كانت أفضل وأكثر تجهيزًا من قبل البريطانيين. أكد لي جورشكوف الذي التقيت به عندما كان في عدن بشدة على أهمية هذه القاعدة. عندما طردوا البريطانيين وقاعدتهم قمنا بالتصفيق، والآن نحن أنفسنا نحاول التسلل. من الناحية السياسية لم تكن هناك كياسة لأننا قمنا بصورة رسمية بمداهمة بعض المنشآت العسكرية خارج الحدود الوطنية. لم تسمح قيادتنا لجورشكوف بإنشاء قاعدة حقيقية. تأسست هناك نقطة مهمة للاتصال على ما أعتقد في جبل خارج حدود عدن. وقد حصلنا على تصريح بمرور سفننا للإصلاح والراحة وتغيير الطواقم. كان لدينا هناك مستشفى عسكري ومخزن نفط. وبالمناسبة لم يكن هناك أي شيء لنا في جزيرة سقطري. كان البحارة أحيانا يلعبون الكرة الطائرة. تهب في سقطرى الرياح القوية ستة أشهر في السنة، لا يوجد ميناء، لذلك كانت سفننا تقف على «البراميل» على الجانب المواجه للريح. وأحيانًا يتم الإصلاح في البحر.

المؤلف: كيف كانت ستتشكل مصالحنا في البحر الأحمر عن طريق عدن؟

و. ج. بيريســـيبكين: الطريق إلى الشـــرق الأقصى من البحر الأسود عبر قناة السويس هـــو أقصر بكثير من الطريق حول أفريقيا. وبطبيعـــة الحال، فنحن مهتمون بالعلاقات الودية مع الدول الواقعة على طول الطريق الذي تســـير فيه سفننا؛ فقد كانت ومازالت هناك بعض المصـــالح الاقتصادية. ففي الماضي وحتى اليوم لدينا منافـــذ تجارية في الحديدة وجدة ومصوع وجيبوتي وبورتسودان، وبعضها قد أُسّست في العشرينيات من القرن الماضي.

المؤلف: تعني باختصار: حرية الملاحة والتعاون الاقتصادي مع دول الساحل. هل الأمر كذلك؟.

و. ج. بيريسيبكين: نعم، من هذا القبيل.

المؤلف: وما هو موقفنا من شمال اليمن؟

و. ج. بيريســـيبكين: حولت تجربـــة جنوب اليمن اليمنيين الجنوبيـــين إلى أعدائنا، وفي شمال اليمن كانت لنا علاقة رائعة. كانت الحجاز (في وقت لاحق المملكة العربية السعودية) البلد العربي الأول الذي أنشـــأنا معه علاقـــات، ثم تأتي اليمن في الترتيب بعدها. اتخذنا كما يقولون في الوقت الحالي طريق المســـاعدات الإنسانية والتجارة، على سبيل المثال: وُجد هناك أطبّاؤنا، وقمنا بتوريد بضائع الســـلع الإستهلاكية. قمنا ببناء ميناء كبير في الحديدة. ثم بنينا الطرق ومصنعا صغيرا للأسمنت. افتتحنا مستشـــفيين، ومـــدارس مهنية تقنية، ولم تكن هناك أية أيديولوجية. وقدمنا لهم الدعم السياســـي ضد المملكة المتحدة، وتعاملنا باحترام مع هذا الشعب قليل السكان.

و حـــتى قبل الثورة في عام 1962 كان شمال اليمن نموذجًا للسياســـة الحكيمة: فالدولة الاشـــتراكية العملاقة أي الاتحاد السوفيتي أنشـــأت علاقات صداقة مع مملكة فقيرة ومتخلفة وصغـــيرة، وعقدت معها اتفاقية صداقة وتعاون ولا تتدخل في شـــؤونها الداخلية. كان الأمر يسير بهذه الطريقة. فعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والغياب التام لأي أيديولوجية وضعت علاقتنا معهم على أساس طبيعي وصحي للغاية.

المؤلف: هل كانت للمســـاعدات التي قدمناها لقوات المشـــاة المصرية أي تأثير في تغير العلاقة تجاهنا؟

و. ج. بيريســـيبكين: يعتبر اليمنيون على المســـتوى الرسمي أن المصريين بتدخلهم قدموا مســـاهمة إيجابية ومحددة في حدوث التطوير في اليمـــن. فلو لم يكن هناك المصريين، لم يكن ليُكتـــب لهذه الثورة البقاء ؛ لأن القـــوات الموالية للملكيين كانت كبيرة جدًا، وتجاوزنا العدواة المؤقتة تجاه المصريين. كان يجمعنا بهم تعاون سياســـي واقتصادي وتجاري وعســـكري؛ ولكن لم تكـــن هنـــاك أية أيديولوجية. واتضح أنه عندما كان بيننا تقـــارب أيديولوجي انتهى الأمر إلى دمار وخراب وعندما كانت لدينا علاقات طبيعية لم نهدف منها إلى المســـاعدة في ''بناء الاشـــتراكية'' استطعنا المحافظة على علاقات جيدة بصورة مدهشة كما حافظنا على التفاهم والتعاون. وهذا يمثل بطبيعة الحال واحدة من المفارقات. . .

المؤلف: ولعل هذا التناقض يظهر الحقيقة. لا ننسى أن خريجينا موجودون تقريبًا في جميع قطاعات الاقتصاد اليمني، وفي جميع مجالات الحياة.

و. ج. بيريســـيبكين: هذا أمر طبيعي. كان التعاون مع اليمن الشمالي شبيه بالعمل في مزرعة صغيرة في وادي سوردوت. بعض الأشخاص اشتغلوا، فوجدوا المياه. . . حفروا بئرًا. .. خططوا الحدائق ومزارع الموز والطماطم وغيرها من الخضروات. وهذا هو أمر واقع. لا حاجة لإنشاء محطات الآلات والجرارات العملاقة. .

المؤلف: أو إرسال ماكينات حصاد الحبوب «نيفا» إلى حضرموت ؛ حيث كانت تقفز على الصخور، مما أثار السخرية.

و. ج. بيريســـيبكين: في باجل بُني مصنع أسمنت، يعمل وفقا للمقاييس السوفيتية: 50 ألف طن سنويا. . لكنهم كانوا ينقلون الأسمنت بواسطة السيارات والجمال والحمير إلى جميع أنحاء اليمن. ويوجد مستشفى بالدعم الذاتي تحت راية الصليب الأحمر. . .

المؤلف: كيف سيتم تحديد سياستنا تجاه اليمن الموحدة؟

و. ج. بيريسيبكين: من الضروري أن نأخذ كل الأشياء الإيجابية التي كانت في علاقاتنا مع الشمال، والعلاقات الطيبة مع الجنوب ونبذ الأيديولوجية.

المؤلف: وموقفنا تجاه العلاقات بين اليمن والمملكة العربية السعودية؟

و. ج. بيريســـيبكين: عـــدم التدخل الكامل والمطلق. وبطبيعة الحال، فإن الســـعوديين ينظرون بتوجس إلى الدولة الجديدة الأكثر سكانًا في شبه الجزيرة العربية؛ ولكن هذه مشكلتهم وليست مشكلتنا. يجب علينا الحفاظ على علاقات متساوية وودية مع كليهما.

تحدث **ف. ب. بولياكوف** سفير الاتحاد السوفيتي السابق في جنوب اليمن، وهو الرئيس الســـابق لقسم الشرق الأوســـط وشمال أفريقيا الذي أصبح مرة أخرى سفيراً للإتحاد السوفيتي (في وقت لاحق روسيا) في مصر عام 1991، عن بعض وجهات النظر فيما يتعلق باليمن.

المؤلف: ما هو موقفنا نحو توحيد طرفي اليمن؟

ف. ب. بولياكوف: كان إيجابيا. لقد كانت لديهم دائمًا الرغبة في الاندماج.

المؤلف: هل كانت هناك أخطاء في سياستنا في شبه الجزيرة العربية؟

ف. ب. بولياكـــوف: أكـــبر هذه الأخطاء التي لا يمكن غفرانها عندما ســـحبنا في عام 1937 بعثتنا من المملكة العربية السعودية.

المؤلف: ألا تظن أن اهتمامنا العسكري الاستراتيجي الكبير في عدن كان خطأ؟.

ف. ب. بولياكوف: أنا لا أعتقد أن هذا كان خطأ. الآن يقول شـــخص ما: لماذا كان من الضروري تقديم المســـاعدة إلى جنوب اليمن؟ لماذا كنا في حاجة إلى المنافع العســـكرية؟ إذا كانت ظروف الحرب الباردة قد ســـيطرت ســـابقا فإن تعاوننا مع اليمن قد تم في ظروف مغايرة وعلى قاعدة المصالح المشتركة، فيجب دفع الثمن مقابل السياسات الكبيرة. كان علينا أن ندفع الثمن حتى يســـتطيع بحارتنا رؤية المنطقة الخضراء. بالمناســـبة، كنا نقترح دائمًا على الأميركيين أن نقوم بإخراج الأساطيل من البحر الأبيض المتوسط ومن المحيط الهندي. ولم يسع الأمريكيون نحو ذلك. بالطبع، اختلف الوضع اليوم ؛ ولكن في ذلك الوقت كان هناك موقف سياسي واستراتيجي محدد. وكنا ننطلق منه.

اســـتكمالا لمجموعة وجهات النظر حول العلاقات الســـوفيتية اليمنية، سوف أقوم بعرض محادثة مع أحد شهود العيان على الأحداث السابقة في عدن — وهو ك. م. ترويفتسيف.

المؤلف: هل كان دعمنا للمؤسســـات اليســـارية الماركســـية الكاذبة وشبه الماركسية في جنوب اليمن سببًا في إفساد العلاقات؟

ك. م. ترويفتسيف: الحقيقة دائمًا ملموسة؛ الماركسية السوفيتية أمر، والماركسية التشيكية أو اليمنية أمر آخر. في جنوب اليمن غالبًا يصبح قادة الأحزب أشـــخاصا مختارين من قبيلة ما. ولم تحدث مشاكل مع الاتحاد السوفيتي حتى عام 1986؛ حيث اجتمعت لجنة للمصالحة بين الجانبين في الســـفارة الســـوفيتية. ومن الممكن أن أؤكد مئة في المئة أنه حتى على المستوى الشعبي أصيبت العلاقات بالتوتر بيننا وبين اليمن الجنوبي؛ فجنوب اليمن ليس أوروبا الشرقية. لم يســـقهم الاتحاد السوفيتي إلى هذا الطريق السياســـي، لكنهم هم مَنْ اختاروا هذا الطريق طواعية.

المؤلف: لكنهم اختاروا هذا الطريق لأن نموذجنا البراق قد أغراهم.

ك. م. ترويفتسيف: ولكنهم لم يكن لديهم اي عقد تجاه الروس، كما يوجد على سبيل المثال عند العرب الآخرين ضد البريطانيين. حيث ارتبط الإنجليز بالاحتلال، ولكن هنا الوضع مختلف؛ حيث لا احتلال. نحن هنا مدعوون. حتى المزايا العسكرية قدموها لنا بأنفسهم.

المؤلف: من المثير للاهتمام أن ننظر إلى كل شيء في إطار تطوره. في مسار التطوير ماهو سلبي اليوم قد يكون إيجابيًا غدًا، والعكس بالعكس. انطلاقا من هذا المعنى، كانت جهودنا في جنوب المملكة في تصاعد.